ابو الحسن علي الحسني الندوي

الفتح للعرب المسلمين

ملتزم النشر و التوزيع
المجمع الاسلامى العلمى
ص . ب - ١١٩ ، ندوة العلما.
لكناؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

من مطبوعات « المجمع الاسلامى العلمى » ـ لكناؤ (الهند)

رقم - ٢٢٨

★

الطبعـــة الثـانية

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

★

قام بالنشر

محمد غيـاث الدين الندوى

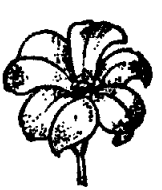

المطبعة النـــدوية

(AP-SN: 50)

ندوة العلمـاء ـ لكهنؤ (الهنـــد)

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الفتح للعرب المسلمين

لا شك أن اليهودية العالمية قد نجحت نجاحاً فوق الحساب فى تحقيق مراميها و أهدافها الكثيرة ، التى ظلت آلافاً من السنين تحلم بها ، و فى تطبيق مخططاتها الكثيرة ، التى كانت تعتبر ضرباً من غرائب الهوس و طرائف الجنون فى سهولة و يسر ، لم يكن يتخيلهما أحد ، لا العرب ولا اليهود أنفسهم .

فقامت دولة « إسرائيل » فى قلب المنطقة العربية الاسلامية المقدسة ، وبقيت جاثمة على صدر العرب و المسلمين و استطاعت بنفوذ اليهود العالمى أن لا تحتفظ بكيانها فحسب ،

www.abulhasanalinadwi.org

بل لم يزدها الزمان إلا قوة واستحكاماً ، ثم استطاعت أن تنتصر على أعظم معسكر عربي و أضخمه عدة وعتاداً ، و أن تحطم قوته الجوية ، و أكثر خطراً من ذلك أنها أضعفت قوة إرادة الشعب و روح مقاومته في بضع ساعات في الخامس من حزيران ١٩٦٨م ، و استولت على القدس ، و على الضفة الغربية ، و على شبه جزيرة سيناء ، و أصبحت قناة السويس ، و كثير من مدن مصر الساحلية مهددة معرضة للخطر الاسرائيلي ، وتوغلت في الأراضي السورية و استولت على عدد من المواطن الاستراتيجية المهمة ، و استطاعت أن تضرب عدة مطارات عربية في جراءة و وقاحة ، و هي الآن تحلم بالاستيلاء على هذه المنطقة العربية كلها ، و تتهدد الأماكن المقدسة في قلب الجزيرة ، و يتحدث بعض زعمائها باسترداد ما فقده آباؤهم من حصون و مستعمرات يهودية في الجزيرة العربية ، وجلوا عنها في المد الاسلامي الأول ، بل يمني اليهود أنفسهم بأن يصبحوا يوماً من الأيام السطوة العالمية التي تملي أوامرها ، وتفرض إرادتها على الرؤساء

www.abulhasanalinadwi.org

و الوزراء ، و القادة و الزعماء فى العالم كله ، و تحقق الحلم البعيد الذى رآه الربيون فى التلمود ، وحكماء صهيون فى بروتوكالاتهم .

فهل يدوم هذا الوضع ؟ و هل تحقق الصهيونية ما بقى من أحلامها و مخططاتها ؟ و هل يترك العرب و المسلمون تحت رحمة هؤلاء الطامحين ، و هل يفسح لهم المجال ، ويرخى لهم الحبل ، حتى يستولوا على العالم كله ؟ و يحققوا أغراضهم و مايدينون به من فلسفات ، و أفكار و نظريات ؟ و هل يمنحون القيادة للنوع البشرى ، و تتاح لهم الفرصة فى توجيهه كما أتيحت لرسالات وفلسفات ، أو قوى وطاقات ، أو مدنيات و حضارات فى الزمن السابق ؟

إننا لا نستطيع أن نجيب عن ذلك جواباً حاسماً ، حتى نقف وقفة قصيرة أمام هذا الكون الفسيح البديع ، و ما عرفنا عن خالقه ومبدعه ، و أسمائه و صفاته ، وأفعاله و إرادته ، وسننه و قوانينه ، و أمام التاريخ البشرى و ما وصلت إلينا من تجاربه و حوادثه .

www.abulhasanalinadwi.org

ولا نستطيع أن نحكم فى ذلك بشئ حتى نحكم على السلالة البشرية ، و مدى صلاحيتها ، و الطبيعة البشرية ، و نصيب الخير و الشر فيها ، و نحكم على مستقبل الجيل البشرى ، و مصير هـذا العالم .

فاذا قررنا أن خالق هـذا الكون ، الحكيم العليم ، لم يخلق هـذا الكون و هذا الكوكب الذى نسكنه إلا للفساد و الدمار ، و الفوضى و الانحلال ، و الظلم و القسوة ، و الوحشيـة و الهمجية ، و المؤامرات و الدسائس ، و لم يهتم به هذا الاهتمام — الذى يتجلى فى جميع مجالاته من إبداع و إتقان ، و حسن و جمال ، و ترتيب و تنسيق ، و يتجلى فى إرسال الرسل و إنزال الكتب حيناً بعد حين ، و إلهام المصلحين ، و نصر الصالحين الصادقين ، وإدالة الخير من الشر ، وتغليب الصلاح على الفساد جيلا بعد جيل — إلا ليسيطر عليه عنصر ينتمى إلى بعض الأنبياء فى أقدم العصور ، و تجرى فى عروقه قطرات من دمهم ، لاترى بأدق مكبرة بيلوجية ، ولا تحسب بأكبر مهارة رياضية ،

www.abulhasanalinadwi.org

و لتهيمن عليه و عـلى جميع طـاقاته ، و ذخائره و ثرواته سلالة بشرية واحدة ، هى « شعب الله المختـار » و الأسرة الالهيـة المقـدسة[1] .

و إذا قررنا أن هذه السلالة البشرية الكريمـة ، هى الخلية البشرية الوحيدة ، التى خصها الله بجميع الطـاقات ، و بجميع المواهب ، و قـد ارتكزت فيهـا كل صلاحيـة ، و كل عبقرية ، و كل إبداع ، أما الخلايا البشرية الأخرى ، التى تتكون منها النسل الانسانى الذى يملأ العالم ، فهى حثالة كحثالة الشعير ، و براية كبراية الأقلام ، مجردة عن كل جدارة و صلاحية ، و قدرة على الابداع و الانتـاج و عن جميع المواهب و المنح .

فالعنصر اليهودى له وحده الحق فى السيادة و الحكم على النوع البشرى ، أما سائر الناس ، فيجب أن يساقوا

(١) وهو ما يحكيه القرآن من زعمهم وقولهم : « نحن أبناؤ الله و أحباؤه » (سورة المائدة ١٨) وأسفار العهد العتيق والتلمود مملوءة بهـذه المزاعم والصفات والنعوت لايحتملها هذا المقال الصغير .

www.abulhasanalinadwi.org

كما تساق قطعان البهائم الحقيرة ، وكل من عداء هؤلاء الأبناء المدللين ، والسعداء الموهوبين ، فقطع شطرنج يلعب بها الدهاة اليهود الأكرمون فى قدرة و مهارة ، و يضربون بعضها ببعض ، و يغلبون بعضها على بعض ، ويهزمون بعضها أمام بعض ، و هى لا تملك من أمرها شيئاً .

و إذا قررنا أن الطبيعة البشرية ، هى الطبيعة الشريرة ، التى تفضل التدمير على البناء ، والافساد على الاصلاح ، و هى متشائمة دائما ، حقود ناقمة على العالم أجمع ، ساخطة على الماضى والحاضر ، ثائرة موتورة تحمل الأحقاد القديمة و الجديدة ، و تنظر إلى كل قضية و حادثة بالمنظار الأسود ، و لاترى إلا الجانب الضعيف فى ماصنع الصانعون ، و بنى البناؤون ، و خلف المخلفون ، متذمرة تضيق ذرعاً بكل شئ ، تحتقر غيرها ، و هى فى الحقيقة مصابة « بمركب النقص »

---

(١) يسميهم اليهود الأمين ، يعبر عنها اليهود بكلمة جويم (Goyem) وبكلمة (Gentiles) ويراد بها غير اليهود ، و معناها عندهم وثنيون ، و كفرة ، راجع معجم أكسفورد (الانكليزى) .

www.abulhasanalinadwi.org

لا تعرف للسلالة البشرية كرامة ، و لاللانسان شرفاً ، ولا تعرف غاية أسمى من المادة ، و تحقيق الرغبات الخسيسة ، تقسو عنـــد الانتصار ، وتجبن عنـــد الهزيمة ، و تستخدم جميع الوسائل للوصول إلى الغاية ، و لا تتورع عن أخس الأعمـال ، و أفحش الظلم ، و أحط الأخلاق ، و أوقح نفـــاق .

و إذا قررنا أن العامل البناء الوحيـد ، القوى المؤثر ، فى بناء المدنيات ، وصنع التاريخ ، وإسعاد البشرية ، و سياسة الشعوب والأمم هو الدهاء الخبيث ، و المهارة الاجرامية ، و اللباقـة الهادمة المدمرة ، والافساد بين الناس ، و القضاء عـلى الضمائر ، وفك نظـام الأسرة و إشـاعـــة الرذيلة والانحلال ، و إحداث الأزمات بعد الأزمات ، و أن الوسيلة الأقوى التى سيطرت عـلى مصائر الأمم ، و أعظم حوادث العالم ، وغيرت مجرى التاريخ ، هى المؤامرات الخفية ، و أن أكبر قوة يعتمد عليها ، هى الغدر ، و نكران الجميل ، و اللؤم و الخسة ، و أن الخلق المحبب إلى الله

www.abulhasanalinadwi.org

الضامن للغلبة و الانتصار ، و العائد على البشرية بالسعادة و الهناء ، هو الكبرياء والأثرة[1] .

و إذا قررنا أن مصير الانسانية حالك مظلم ، لا أمل فى سعادة و أمن و سلام ولا فى إخاء و وئام ، و أنه لا يزال ينتقل من حرب إلى حرب ، و من نكبة إلى نكبة ، و من شؤم إلى شؤم ، و من ثورة إلى ثورة ، حتى ينتهى إلى جهنم التى سعرتها الأغراض المتطاحنة ، والأحقاد المتواصلة .

و إذا قررنا أنه ليس هنالك قضية رسالة و هداية ، و قضية عقائد و مبادىء ، و قضية ضمائر وقلوب ، و قضية أخلاق وفضائل ، و قضية دين مختار ، و شريعة مصطفاة ، و منهج مفضل للحياة ، إنما هى قضية سلالة ونسب ، ودم

---

(١) و لذلك يصفهم القرآن « بالمغضوب عليهم » و جاء هذا الوصف فى سورة الفاتحة التى تتكرر و تجب قراءتها فى كل صلاة ، ولا يتذوق هذه الكلمة البليغة ولا يعرف مدى انطباقها على اليهود إلا من عرف سيرتهم و الدور الذى لعبوه فى تاريخ الانسانية .

www.abulhasanalinadwi.org

و عرق ، و قضية ثارات و تراث ، و أحقـاد و ضغائن ، و استرداد لمجد ضائع ، و أرض مسلوبة أو محتلة ، وإشباع لرغبة الطموح أو غريزة الاستيلاء ، و طبيعة الجشع .

إذا قررنا ذلـك كله ، فلاشك أن اليهود هم المرشحون ، المهيئون للسيادة و الغلبة ، و أن هذا الوضع سيظل ويدوم ، و أنه لا يعوق عن توسعهم فى الحـــدود ، و الامتلاك والاحتلال ، و عن تحقيق مخططاتهم شئ ، فانها هى الصورة الحقيقيـــة التى رأيناها فيما عندنا من أسفار العهـد القديم ، و فى صحف التلمود ، و فى بروتوكولات حكماء صهيون ، و فى ما وصل إلينـا من خطب زعمائهم ، ومحاضر جلساتهم السرية ، و فى ماتحقق من أعمـالهم و إجراءاتهم ، منـــذ استولوا على القدس و على المدن الاسلامية العربية .

و هى صورة الحقد و الاحتقار ، و النقمة و السخط عـــلى البشرية ، و تقـــديس العنصر اليهودى ، و الدم الاسرائيلى إلى حد التأليه ، وتجريد السلالة البشرية الباقية فى جميع أدوار التاريخ ، و فى جميع أنحـاء العالم عن كل جدارة

www.abulhasanalinadwi.org

وصلاحية ، والتصميم على الاستيلاء على العالم كله ، لمصلحة اليهود وحدهم ، و البغضاء المتأصلة فى النفوس ، و الضراوة بالشر و الفساد ، كطبيعة أصيلة ، والعنف والعناد ، كأخلاق قوميـة ، وعادات موروثة ، و هى الصورة التى تقترن بتاريخهم اقتران المزاج بالانسان ، وترافقهم مرافقـة الظل ، فالمؤامرة قوام تاريخهم ، وعمـاد حياتهم ، والقطب الذى يدور حوله نشاطهم وذكاؤهم ، و هم الرأس المفكر ، و العقل المدبر ، و الأصبع المحركة فى كل ثورة ، و فى كل مؤامرة[1] ،

---

(١) وضع بنيامين دزرائيلى ، اللورد بيكونز فيلد ، ورئيس وزراء بريطانيا العظمى اليهودى ، الملاحظة التالية على لسان « سيدونيا » بطله اليهودى ، وهى تصور اليهودى العالمى التصوير الحقيق :

« ليس فى وسعك أن تلاحظ حركة فكرية عظيمـة فى أوربا لايكون لليهود فيها إسهام ضخم جداً ، فلقد كان اليسوعيون الأوائل من اليهود ، و الدبلوماسية الروسية الغامضة التى تزعج الدول الأوربية الغربيـة يقوم على تنظيمهـا و تنفيذهـا اليهود ، والثورة العظيمة التى يجرى إعدادها فى ألمـانيـا الآن و التى ستكون بمثابة حركة إصلاح دينى ثانية ، ولعلها أعظم من الحركة الأولى ، و التى لا يعرف عنهـا إلا القليل الآن فى انكلترا ، تتطور الآن ، و تنمو نموا كلياً تحت إشراف اليهود » (اليهودى العالمى لـ « هنرى فورد » ص ٦٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

و فى كل مذهب هدام ، و فى كل فلسفة مدمرة ، و فى كل قلق يسود ، و فى كل أزمة تحدث — اقتصادية كانت أو سياسية وا جتماعية كانت أو خلقية — و لا أبلغ ولا أدل من كلمة نابتهم الدكتور أوسكا ليبى فى وصف شعبه « نحن اليهود ، لسنا إلا سادة العالم و مفسديه ، ومحركى الفتن فيه وجلاديه » .

و ليست لليهود - و لم تكن فى دور من أدوار حياتهم - أى رسالة عالمية ، و طبيعة الرسالة العالمية لا تتفق مع تقديس العنصر والدم ، و الغلو فى تعظيم سلالة واحدة و اعتقاد كل نزاهة و جدارة و صلاحية للتقدم الروحى ، و السمو النفسى ، و القرب من الله تعالى ، فى نسل واحد و أرومة واحدة ، وعدم الاقتناع بعقيدة المساواة البشرية ، و وحدة الأصل والجنس فى بنى آدم ، و تكافئهم فى فرص الرقى و التقدم ، و الطهارة والنزاهة و بلوغ أعلى درجات الايمان و الاحسان ، و الرحمة و الرضوان ، فطبيعة تقديس العنصر و الدم ، و حصر النجابة و النبوغ ، و العبقرية

www.abulhasanalinadwi.org

و العظمة ، و الاختصاص بخالق هذا الكون ، تعارض كل المعارضة ، العطف على النسل الانسانى ، و الحماسة فى نقل أفضل ما عندها من رسالة و سعادة إلى باقى البشر وسائر بنى آدم ، و إشراكهم فيما عندها من علم ثابت ، و عمل صالح ، وأخلاق كريمة ، بل إن هذه الطبيعة تجنح بطبيعة الحال إلى تضييق دائرة الهداية و الدعوة ، وتحديدها فى عنصر واحد ، و فى سلالة واحدة ، لذلك كان من الطبيعى أن الديانة اليهودية لم تكن فى زمن من الأزمان دعوة عامة للخلق ، و لم يكلف اليهود — فى ضوء من نصوص كتبهم المقدسة — بتبليغ الرسالة إلى الأمم جميعاً ، بل

---

(١) تقول السيدة الفاضلة المهتدية مريم جميلة Margaret Marcus اليهودية سابقاً فى كتابها « الاسلام إزاء أهل الكتاب ماضياً وحاضراً » باللغة الانجليزية : « ليس أن اليهود لا يبلغون دينهم إلى غيرهم عملياً ، بل إنهم لا يرحبون بالدخول فى ديانتهم و لا أعرف إلا مثالين فى تاريخهم الطويل حين دخل غير اليهود فى اليهودية فى عدد كبير ، كان ذلك مرة فى اليمن ، فى زمن سبق البعثة المحمدية ببضعة قرون ، ومرة ثانية حين اعتنق عدد من غير اليهود الديانة اليهودية فى مملكة خزار التاتارية الأصل التى عاشت مدة قصيرة فى روسيا ، Islam verses – Ahl al Kitab Past and Present (22.23)

www.abulhasanalinadwi.org

وردت نصوص تمنع عن ذلك ، وتحصر نشاطهم الدعوى فى نطاقهم العنصرى المحدود ، و كان من الطبيعى و المعقول جداً أن يميزوا دائماً بين بنى إسرائيل و بين الشعوب والقبائل الأخرى ، و أن يضعوا للخير والشر ، و البر و الاثم مقاييس مختلفة تختلف باختلاف السلالات و الشعوب ، و أن لا يتحرجوا من أكبر إجرام أو عدوان مع شعب آخر ، و ذلك ما أخبر به القرآن عنهم فقال : « ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا فى الأميين سبيل »[1] و من الطبيعى و المعقول جداً أن تتعرض جميع الشعوب و السلالات التى يحكمها اليهود لكل اضطهاد وعسف ، و بخس نصيب ، و تطفيف كيل ، لأنهم لاينظرون إليها كأسرة إنسانية زميلة ، أو سلالة بشرية شريفة ، وإنما هى قطيع من الغنم ، أو مجموعة من عجماوات أو جمادات ، خلقها الخالق لتكون آلة صماء فى يد أبنائه المدللين[2] .

---

(١) سورة آل عمران ٧٥ .

(٢) وهى نفس النظرة التى ينظر بها البراهمة والفاتحون من الآريين فى الهند ★

www.abulhasanalinadwi.org

إذن فالفطرة السليمة التى أودعها الله فى غالب البشر ، و ما تحدثت الأديان و الشرائع ، و الكتب المنزلة عن عدل الله و رحمته و حكمته و إرادته من صنع هذا الكون — الفسيح البديع المنظم المنسق — و خلقه للجيل البشرى و استخلافه و تكريمه ، و ما أودع فى الأشياء من طبائع ، و ما وضع لنهضة الأمم و انحطاطها ، و قيام الحكومات و سقوطها ، و ازدهار الديانات وذبولها من سنن وقوانين ، و ما تحقق عند جميع الأديان ، و الفطر السليمة ، و العقول المستقيمة ، من أنه ليس رب سلالة و نسل ، و رب أسرة و بيت ، و رب بلد و إقليم ، بل هو إله الجميع و رب العالمين ، و رب المشارق و المغارب ، و ما ثبت فى التاريخ الانسانى من أن الشعوب و الأمم إنما تحيى بالرسالات التى تحتضنها و الغايات التى تدعو إليها ، و الفضائل التى تكافح فى سبيلها ، و ما تحمل من إفادة و نافعية ،

★ إلى سكان هذه البلاد القدماء ، و عليه تأسس نظام الطبقات فى الديانة البرهمية و فى المجتمع الهندى و لا يزال هو النظام المتبع رغم جهود المصلحين الثائرين منهم .

www.abulhasanalinadwi.org

و غناء للجميع ، و ما نبـــه عليها القرآن الحكيم بقوله : « فأما الزبد فيذهب جفآء ، و أما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال »[1] .

إن كل ذلك يحتم أن اليهود الذين يتحدون هذه الحقائق ، و هذه الطبائع ، و هذه السنن و القوانين ، و الغايات الكريمة التى خلق الله لها هذا الكون ، و أوجد لها هذا الجيل البشرى ، و ما يحبه من الخير و الصلاح ، و من العمران و البقاء ، لا يتمتعون بفترة طويلة من السيادة و السيطرة و الغلبة و القوة ، و لا يمكنون من تحقيق جميع آمالهم و أحلامهم ، و مشاريعهم و مخططاتهم الهادمة المدمرة ، الأنانية السلبية ، ولو أيدتهم ألف حكومات ، و كانت من ورائهم القوى الكبرى كلها فى العالم ، و لو توفرت عندهم كل الوسائل الجهنمية التى اكتشفها المكتشفون فى هذا العصر ، و التى برع فيها اليهود براعة

---

(١) سورة الرعد ١٧ .

www.abulhasanalinadwi.org

ممتازة[1] وسينتصر أهل الحق و حملة الرسالة العالمية الخالدة، التي تعطف على الانسانية كلها، و تساوي بين الشعوب و الأمم، و تنتصر للحق أينما كان، و تحارب الظلم أينما وجد، يعيشون للانسانية و بالانسانية، و لا يريدون علواً في الأرض و لا فساداً.

و قد كان للدهاء و المكر و الخديعة و الذكاء الذي

---

(١) أخبرت الاحاديث النبوية التي كادت تبلغ حد التواتر بأن اليهود يبلغون في زمن من الأزمان الذروة في القوة، والسيطرة في فلسطين، و ينهض فيهم الدجال الأكبر الذي يتزعم هذه القوة و يتصرف في الأشياء، و أنهم سيجتمعون في مكان واحد، ثم يتسلط عليهم المسلمون، و يضعون فيهم السيف و يعاديهم كل شيئ حتى ينم عنهم الحجر، و بقي علماء السنة أكثر من ثلاثة عشر قرناً يتدارسون هذه الأحاديث في كتب للفتن و الملاحم و أبواب أشراط الساعة في كتب الحديث، هي من أبعد الأشياء عن الخيال في عالم الأسباب و الواقع، فاليهود — إلى هذه المدة — أذلاء مشتتون في الآفاق، حتى بدأت هذه النبوة تتحقق في منتصف هذا القرن المسيحي الحاضر، فنشأت وطن اليهود و قامت إسرائيل، وحدث ما حدث، و ستتحقق أواخر هذه النبوة كما تحققت أوائلها، وهي من المعجزات النبوية التي تجلت بعضها و تبينت كالصبح، و سينجلي الباقي، و لله الأمر من قبل و من بعد.

www.abulhasanalinadwi.org

لا يقوم على احترام الانسانية ، و لا يقف عند الحدود العقلية و الخلقية ، و الذى يتجه دائماً إلى الأنانية و السلبية انتصارات بهرت العقول و الألباب ، و غشت على العيون والأبصار ، وشككت فى التاريخ البشرى ، وكادت تفقد الثقة بقوة الحق وحسن العاقبة للصادقين المتقين ، وكانت لهذه القوة التخريبية الماكرة جولات و صولات فى التاريخ حتى تحركت الجبال الراسيات ، و اضطربت رجال الفلسفات و علماء الديانات ، و قد صور القرآن باعجاز هذه الساعات الدقيقة العصيبة ، و ما ينتاب العقول و القلوب فى ذلك الوقت من حيرة و اضطراب ، و شك وارتياب ، ولا تصوير أبلغ من تصوير القرآن : « حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ، فنجى من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين »[1] و قوله : « إذ جاءوكم من فوقكم و من أسفل منكم و إذ زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون و زلزلوا

(١) سورة يوسف : ١١٠ .

www.abulhasanalinadwi.org

زلزالا شديداً »[1] .

و قد عالج القرآن هذه النفسية الانسانية التى تخضع دائماً للغلبة و القوة مهما كانت عارضة مؤقتة ، و مهما كانت سخيفة هازلة ، فقال : « لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم و بئس المهاد »[2] و قال : « ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد »[3] .

و عالج كذلك النفسية الضعيفة التى تستسلم دائماً لدهاء دقيق ، و مكر محكم ، أو مؤامرة ناجحة ، فذكر مراراً و تكراراً ، أن مصيره إلى الانهيار و الافتضاح ، و الخيبة و الاخفاق ، و أنه كنسج العنكبوت : « و إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون »[4] ، و قرر أن الخير

---

(١) سورة الأحزاب : ١٠ - ١١ .

(٢) سورة آل عمران : ١٩٦ - ١٩٧ .

(٣) سورة المؤمن : ٤

(٤) العنكبوت : ٤١

www.abulhasanalinadwi.org

لا ينتج من الشر ، و ما كان أساسه ضعيفاً متـــداعياً للسقوط ، و لم يكن له أصل ثابت و لا جذور عميقة — فى الأرض الكريمة أو الفطرة السليمة — يكون البناء الذى يقوم عليه مستعداً للانهيار فى كل لحظة ، فقال : « أم من أسس بنيانه على شفا جرف هارفانهار به فى نار جهنم ، و الله لا يهدى القوم الظالمين »[1] و قال : « و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار »[2] و قال على لسان نبى الله موسى مخاطباً لجماعة السحرة : « قال موسى ما جئتم به السحر ، إن الله سيبطله ، إن الله لا يصلح عمل المفسدين »[3] ، و قال يتحدث عن المكر و الدهاء فى مختلف الأزمنة و الأمكنة كقانون عام خالد : « و لايحيق المكر السيئ إلا بأهله ، فهل ينظرون إلا سنة الأولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا »[4] و قال :

(١) سورة البراءة :١٠٩

(٢) سورة ابراهيم : ٢٦

(٣) سورة يونس : ٨١

(٤) سورة فاطر : ٤٣

www.abulhasanalinadwi.org

« و الذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ، و مكر أولئك هو يبور »[1] ، و أعلن حقيقة عالمية لا تختلف باختلاف الزمان والمكان و الشعوب و الأوطان ، و مظاهر الفوز و الخسران ، و السعادة و الحرمان ، فقال غير مبال بما يعتقده البشر من نجاح الحكام والملوك ، والطامحين المغامرين فى عصرهم : « فاصبر ، إن العاقبة للمتقين »[2] وقال : « وقل جاء الحق و زهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً »[3] .

بالعكس من ذلك العرب رغم جميع العلل و مواضع الضعف ، والطوارىء التى تحدثنا عنها فى مقالاتنا ومحاضراتنا السابقة فى صراحة ليست فوقها صراحة ، ما زالوا ولايزالون أصحاب دعوة إنسانية عامة و رسالة عالمية آفاقية ، و الدين الاسلامى الذى أكرمهم الله بالسبق فيه و الدعوة إليه ، حق مشاع وثروة مشتركة لجميع الأمم والشعوب ، والعناصر

---

(١) سورة فاطر : ١٠

(٢) سورة هود : ٤٩

(٣) سورة الاسراء : ٨١

www.abulhasanalinadwi.org

و الأجناس ، و الأسر و البيوتات ، و البلاد و الأوطان ، ليس فيه احتكار مثل احتكار بني لاوى من اليهود أوالبراهمة من الهنود ، لا يتميز فيها شعب عن شعب ، و لا نسل عن نسل ليس الاعتماد فيها على العرق والدم ، بل الاعتماد فيها على الحرص و الشوق ، وحسن التلقي وزيادة التقدير ، و التفوق فى الجهاد و الاجتهاد ، و قد روى الامام أحمد بن حنبل بسنده عن النبي ﷺ أنه قال : « لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس »[1] وقد دان العرب فى جميع عصورهم لكل من برز فى العلوم الدينية و تفوق فيها ، و أقروا لهم بالأمامة والزعامة فيها ، و خلعوا عليهم من النعوت و الألقاب ما لم يخلعوها على كثير ممن برع فى هذه العلوم من العرب ، فلقبوا الامام محمد بن إسماعيل (ابن إبراهيم بن مغيرة بن بردزبه) الجعفى البخارى ، صاحب الجامع الصحيح (م٢٥٦هـ) بأمير المؤمنين فى الحديث ، و قالوا عن كتابه أنه أصح كتاب بعد كتاب الله ، ولقبوا الامام أبا المعالى عبد الملك الجوينى

---

(١) مسند إمام أحمد ج ٢ ص : ٢٩٦

www.abulhasanalinadwi.org

النيسابورى (م٤٧٨هـ) بامام الحرمين ، ولقبوا الامام أبا حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى (م ٥٠٥هـ) بحجة الاسلام ، و قد كان الموالى و أبناء العجم هم زعماء العلم و مراجع المسلمين فى جميع عواصم المملكة الاسلامية الواسعة فى آخر القرن الأول الهجرى ، قد انتهت إليهم رئاسة العلم و الفتيا ، و الفقه و الحديث ، و هى قصة معروفة فى جميع كتب الطبقات والسير و التراجم ، و تاريخ الحضارة الاسلامية ، و اطرد ذلك فى العصور الاسلامية الذهبية التى ساد فيها العرب حتى قال نابغة العرب العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربى (م٨٠٨هـ) : « من الغريب الواقع أن حملة العلم فى الملة الاسلامية أكثرهم العجم ، لامن العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية إلا فى القليل النادر ، مع أن الملة عربية و صاحب شريعتها عربى . . . . فكان صاحب صناعة النحو سيبويه ، و الفارسى من بعده ، و الزجاج من بعدهما : و كلهم عجم فى أنسابهم ، و كذا حملة الحديث وعلماء أصول الفقه ، و حملة علم الكلام و أكثر

www.abulhasanalinadwi.org

المفسرين »[1] .

والعرب بفطرتهم التى فطرهم الله عليها من أقرب الأمم و الشعوب إلى قبول مبدء المساواة الانسانية و احترام النوع البشرى ، و أنشطها فى تطبيق هذا المبدء والعمل به ، قد حملوه معهم فى فتوحهم الواسعة ، و زحفهم المبارك ، الذى فتح للعالم آفاقاً جديدة فى العلم و المدنية ، و الفضيلة و التقوى ، حتى أحبتهم الشعوب المفتوحة — و قد عرفت فى التجربة و بداهة العقل ببغض الفاتحين ، و غلا بعض الغلاة الوثنيين من مشركى السند و الملتان فى شبه القارة الهندية فى القرن الأول الاسلامى ، فصنعت لمحمد بن القاسم الثقفى ، الفاتح العربى ، تماثيل ، أضافتها إلى تمائيلها القديمة حباً وإجلالا ، وكانت المعاملة الرقيقة الغريبة التى عامل بها الخليفة ، عمر بن عبد العزيز أهل سمرقند المفتوحين ، سبباً لحب الفاتحين ، و انتشار الاسلام بسرعة غريبة فى هذه

---

(١) مقدمة ابن خلدون : المطبعة البهية المصرية ص ٤٠١

www.abulhasanalinadwi.org

البلاد بخلاف البلاد التى فتحها غير العرب — قاطبة فى الاسلام ، واعتنقت الحضارة الاسلامية ، و تكلمت باللغة العربية ، و فضلت الفاتحين الأجانب و ما حملوه معهم من أخلاق وعادات ، و شرائع وقوانين ، ولغات ولهجات على ما توارثتها من أحقاب طويلة ، و أجيال متواصلة ، و تكون منها هذا العالم العربى الذى نتحدث عنه ، ولا تزال كلمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب التى قالها لأحد قادته الكبار ، يتردد صداها فى الآذان و القلوب ، و فى صفحات التاريخ : « من متى استعبدتم الناس و قد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » .

و قد كانوا فى جاهليتهم و فى إسلامهم من أبعد الأمم بحكم الفطرة و النشأة و المثل العليا التى كانوا يدينون بها ، عن طبيعة المؤامرات ، و التكتم و السرية ، و الدسيسة و النفاق ، فكانوا أعداءاً جهاراً و علانية ، و كانوا أصدقاء

(١) جاء فى فتوح البلدان للبلاذرى ، ص ٤٢٨ :

« قال أبوعبيدة وغيره لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد عليه قوم ★

www.abulhasanalinadwi.org

جهاراً و علانية ، و كانوا إذا حاربوا حاربوا فى الميدان ، و إذا صالحوا صالحوا عن إعلان ، دل على ذلك شعرهم و أدبهم ، و وصاياهم و حكمهم ، و أمثالهم و أيامهم فى الجاهلية و الاسلام ، و لم يكن النفاق من طبيعتهم الأصيلة ، ولذلك يكاد المفسرون يتفقون على أنه لا نفاق فى مكة ، لأنها بيئة عربية خالصة ، لا تشوبها شوائب اليهودية و العناصر الدخيلة ، و على أن جميع الآيات التى جاء فيها ذكر النفاق و المنافقين مدنية(١) ، و قد استدل لذلك بعض المفسرين و الأصوليين بقوله تعالى فى سورة البراءة : « و ممن حولكم من الأعراب منافقون ، و من أهل المدينة مردوا

★ من أهل سمرقند فرفعوا إليه أن قتيبة دخل مدينتهم و أسكنها المسلمين على غدر فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضياً ينظر فيما ذكروا فان قضى باخراج المسلمين أخرجوا ، فنصب لهم جميع بن حاضر الباجى فحكم باخراج المسلمين على أن ينابذوهم على سواء ، فكره أهل مدينة سمرقند الحرب وأقروا المسلمين فأقاموا بين أظهرهم و كان ذلك بعد ما مضى على فتح سمرقند سبع سنوات .

(١) سبق الكاتب هذه السطور ، مقال فى هذا الموضوع نشرته صحيفة « الفتح » الغراء لصاحبها محب الدين الخطيب سنة ٣٢ أو ٣٣ م

www.abulhasanalinadwi.org

على النفاق »[1] فلا خطر على العالم و على الرقعة التى يحكمها العرب ، و على الشعوب والأمم التى يقودونها ، و على المدنيات والمؤسسات التى يوجهونها ، و على السياسة التى يلعبون فيها الدور الحاسم ، من مؤامرة سرية ، و من دسائس خفية ، و من النفاق فى الأخلاق ، و من الافساد بين الطوائف و الطبقات ، و من خلق المشاكل و الأزمات ، لمصلحة قومية و أنانية فردية أو جماعية ، إنما هى قيادة واضحة حاسمة ، و سياسة ظاهرها و باطنها سواء ، و حكم يعدل مع القريب و البعيد ، و الشرقى و الغربى ، والعجمى و العربى .

أما هذه القومية المتطرفة ، و العصبية الجاهلية ، التى أبتليت بها بعض الجماعات العربية ، و تزعمتها بعض القيادات فى العهد الأخير لأسباب ليس هذا محل شرحها ، فهى طارئة دخيلة ، لا تنسجم مع الطبيعة العربية الاسلامية الأصيلة ، و هى تثور عليها فى أول فرصة ، و تعود إلى أصالتها القديمة ، و إلى إيمانها الذى امتزج بلحمها و دمها ،

(١) سورة البراءة ١٠١

www.abulhasanalinadwi.org

و تغلغل فى أحشائها ، بقوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم[1] » و بقول الرسول الأعظم ﷺ : « . . الناس بنو آدم و آدم خلق من تراب ، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى »[2] .

و إذا كان الاسلام رسالة الله الأخيرة الخالدة التى تكفل الله ببقائها و خلودها ، و إذا كان القرآن هو الكتاب السماوى الأخير الخالد الذى ضمن الله ببقائه و حفظه ، و لا بقاء للاسلام و لا للمسلمين (كأمة ذات عقيدة وشخصية و قانون و شريعة ، و دعوة و رسالة) بغيره ، و كل ذلك مكفول مضمون ، و قد قال الله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون »[3] كان بقاء العرب مضموناً مكفولا كذلك ، فلا بقاء للقرآن بغير اللغة العربية ولا بقاء للغة العربية بغير أهلها ، فان كل ذلك لا يقوم فى الفضاء ، و ليس من المعقول و لامن اللائق بحكمة الله تعالى أن يبقى

(١) سورة الحجرات : ١٣

(٢) رواه الترمذى وغيره عن النبى صلى الله عليه و سلم .

(٣) سورة الحجر : ٩

www.abulhasanalinadwi.org

هذا الكتاب الخالد العالمى لغزاً لا يفهمه أحـــد ، أو مختوماً لا يستطيع أحد أن يفض هـذا الختم ويستفيد به ، أو يبقى أثراً تاريخياً فى المتاحف و المستودعات ، قـــد اندرست لغته كما اندرست الهيروغليفية أو الفينقية أو الحيرية ، و تعالى الله عن أن يسمى ذلك حفظاً و صيانة ، و فضلا و كـرامة ، و يمن بها على الأمة و على الانسانية التى لا تزال تستمد منه القوة و الحيوية ، و تسير فى ضوئه فى كل عصر و جيل ، و ليس من الحكمة أن يعيش العرب مستعبدين ، أذلاء صاغرين ، و يفقدون كل حول وطول ، و كل وسيلة لتوجيه البشرية و قيادة الانسانية ، و تصبح هذه المنطقة التى أشرقت منها شمس الاسلام ، و انطلقت منهـا موجة المد الاسلامى فى الآفاق ، و ارتبط بهـا تاريخ الاسلام و المسلمين ، هذا الارتباط الوثيق الذى لا مثيل له فى تاريخ الديانات ، و فيها هذا البيت العتيق الذى جعله الله مثابة للناس وأمناً ، ومراح الأرواح ، و مهوى الأفئدة ، و مدينـــة الرسول التى هى مهبط الوحى ، وظئر الاسلام ، ومصنع التاريخ ، فلا بقـاء

www.abulhasanalinadwi.org

للاسلام و المسلمين — و لو قامت لهم ألف دولة و ارتفع لهم ألف علم — و لا شرف لهم و لا كرامة ، و لا هدوء لهم و لا راحة ، إذا ذل العرب ، وفقدوا هذه المنطقة التى فيها مقـــدساتهم ، و هى معقل الاسلام ، و مصدره و مأرزه ، و لذلك جاء فى بعض كلمات مأثورة : « إذا ذل العرب ذل الاسلام » .

و لذلك كانت هذه الأوضاع غير الطبيعية ، غير صالحة للبقاء والاستمرار ، تعارضها الفطرة البشرية و العقل المستقيم ، و المنطق السليم ، و طبائع الأشياء ، و الحقائق الراهنـــة ، و الظروف المحيطة ، و النصوص الدينية ، و الوعود الالهية ، و التاريخ و الجغرافية ، و السياسة الحكيمة التى لم تفقد رشدها و لم تجن جنونها ، و إذا بقيت مدة قصيرة ، فهى مدة طويلة

(١) أما السياسة الخرقاء العمياء التى تتبعها أمريكا وروسيا إزاء العرب ، فهى سياسة تقليدية خالية من كل ذكاء و ابتكار ، و جرأة خلقيـــة أو حياء و إنسانية ، خاضعة للنفوذ اليهودى ، و مؤسسة على « الـكرتارية » الغبية ، و الأوراق و الملفات القديمة ، غير مبنية على الحقائق ، و مثل هذه السياسة و الاتجاهات لاتنشأ إلا عندما يصيب الحكومات الهرم والشيخوخـــة ، و يدق أبوابها لزوال القريب .

www.abulhasanalinadwi.org

بالنسبة إلى حكم الوضع و طبيعة الأشياء و بداهة العقل .

و بعد فان انتصار الصهيونيـــة فى هذه الفترة التى يمر بها العـالم العربى و الاسلامى الآن ، و تحقيق بعض أهدافها و مخططاتها فى الاستيلاء على هذه المنطقة العربية الاسلامية ، لم يكن انتصار رسالة على رسالة ، و لا انتصار أمة على أمة ، و لا انتصـار دين على دين ، و لا انتصار حق على باطل ، فان اليهود ليست لهم أى رسالة فى هذا العصر ، و لم تكن هنـالك معركة بين اليهود و الأمة الاسلامية ، أو الشعوب العربية ، فانه لم يسمح لهذه الأمـــة و لا لهذه الشعوب أن تخوض فى هذه المعركة ، و تبرز جدارتها و كرامتها ، و لم يسمح للاسلام بالخوض فى حرب حزيران ١٩٦٨م بل عزل عن الميدان ، و أقصى عن ساحة الحرب بتصميم و إرادة ، إن جل ما هنالك أنه انتصار أقدر قيادة على أخيب قيادة ، و قد كان من سعادة اليهود أن تهيأت لهم قيادة بعد آلاف من السنين ، غسلت عنهم العـار الذى رافقهم عبر القرون ، و فى رحلتهم الطويلة ، و صنعت لهم تاريخاً جديداً ، و كان من نكبة المسلمين و العرب أن ابتلوا — لأسباب شرحناهـا

www.abulhasanalinadwi.org

فى الفصول الأولى من كتابنا « ما قبل النكبة و ما بعدها » — بقيادة جنت عليهم و على تاريخهم الجناية الكبيرة ، و ورطتهم فى مأزق لا متقدم فيه و لا متأخر .

و لكن قضية القيادة و أخطاءها وجناياتها مهما طالت ، فهى قضية سهلة يمكن أن تعالج ، أما قضية الرسالات ، و قضية جدارة الأمم وصلاحيتها للبقاء ، واستحقاقها للنصر ، و قضية عسيرة معقدة ، فلا يسهل إبدال رسالة برسالة ، و لا يسهل نفخ روح فى جثة هامدة ، و الأمة العربية الاسلامية لا تحتاج إلى رسالة جديدة ، و لا إلى دين جديد ، و لا إلى بعث و إحياء ؛ فانها هى الأمة الزاخرة بالحيوية و القوة ، المستعدة للانتفاض فى كل وقت ، أما القيادات فهى كأمواج نهر دافق جار ، تأتى و تذهب ، و تغدو و تروح ، و ترفع رأسها و تثبت وجودها ، و قد تغرق بعض السفن ، وتحطم بعض القوارب ، و لكنها تغيب فى وجود النهر الخالد الكبير ، و تتوارى فى هذا الخضم المائج ، و النهر ذلك النهر ، لا يفقد اسمه و لا وجوده و لا شخصيته .

www.abulhasanalinadwi.org

و قد شهد التاريخ الاسلامى أمواجاً من هذا النوع ، ارتفعت حتى وصلت إلى عنان السماء ، ثم نامت فى مهد هذا البحر اللجى و فى أعماقه ، فقامت حكومات و طويت حكومات ، و جاءت قيادات و ذهبت قيادات ، و الاسلام هو الاسلام ، و الأمة هى الأمة ، و الرسالة هى الرسالة ، و الكتاب هو الكتاب ، و الايمان هو الايمان .

و هكذا النكبات و الكوارث ، و حوادث التراجع و الانتكاس تجارب طبيعية تمر بها الأمم الحية النامية ، الدافقة بالحياة ، و محن تمحص بها و تصهر لتبلغ النضج و الاكتمال ، و تتعود اليسر و العسر ، و السراء و الضراء ، و لا تبطر عند الفتح ، و لا تيئس عند الهزيمة : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم »(١) كالجسم الحى النامى الذى لا يعتمد على حيويته و قوة مقاومته ، حتى يمر بمراحل مختلفة من الصحة و المرض ، و القوة و الضعف ، و اختلاف الأجواء و المناخات ، و تنوع الفصول

(١) سورة الحديد : ٢٣

www.abulhasanalinadwi.org

و الطقوس ، فيحتمل كل ذلك و يتمرن عليـــه ، و العودة إلى الصحة مضمونة للجسم السليم القوى ، و الانتصار مكفول لصاحب الرسالة الفاضلة ، المفيدة للبشرية ، و الصفات الكريمة العائدة بالخير على الجميع ، وصدق الله العظيم : « قد خلت من قبلكم سنن ، فسيروا فى الأرض ، فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، هـــذا بيـان للناس و هدى و موعظة للتقين ، و لا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، و تلك الأيام نداولها بين الناس ، و ليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، و الله لايحب الظالمين ، و ليمحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين »[1] .

(١) سورة آل عمران : ١٣٧ — ١٤١

www.abulhasanalinadwi.org

وللمؤلف صدر حديثا :

المرتضى

سيرة أمير المؤمنين: سيدنا أبي الحسن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه وكرّم وجهه - في إطار قَبَلِيّ وشخصيّ وجماهيّ، ومبدئي وإداري. وفي ضوء دراسة تاريخية مقارنة محايدة، لما امتاز به من خصائص ومواهب وعبقريات، وتعاون جاد مخلص مع مَن سبقه في تولّي الخلافة، في صالح الإسلام والمسلمين، والسرّ في ما قدّره الله وحققه من توالي الخلفاء الراشدين بعضهم على إثر بعض، مع بيان جهود عظماء ذريته في قيادة المسلمين، ومحاولة تغييرٍ صالحٍ في منهج الحكم والإمارة، وإعادته إلى منهج الخلافة الراشدة، ودورهم الرائع البطولي في بلاد الإسلام وفي قرون مختلفة، في نشر الإسلام، وتزكية النفوس، وإصلاح المجتمع، وقيادة الحركات الجهادية والتحريرية في مختلف الأمكنة والأزمنة، مع نقد النظريات الدخيلة على الإسلام وتفنيد نسبتها إلى أهل البيت، واستغلالها لغايات مذهبية طائفية سياسية.

ملتزم النشر والتوزيع
المجمع الإسلامي العلمي
ندوة العلماء، ص.ب ١١٩ لكناؤ الهند

www.abulhasanalinadwi.org